حرف المشغولات النسيجية ودورها في حفظ التراث بالمملكة العربية السعودية (حرفة السدو أنموذجاً)

إعداد
د. وضحى عواض الرشيدي
تطبيقات التراث الرقمي
متعاونة قسم موارد إدارة التراث والإرشاد السياحي
كلية السياحة والآثار – جامعة الملك سعود

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الحرف النسيجية في المملكة العربية السعودية والتي تعتبر أهم الحرف التراثية في المملكة العربية السعودية، نتيجة لأهميتها في إبراز الهوية الثقافية والتاريخية للمملكة العربية السعودية، وتعود ظهور الحرف النسيجية في المملكة إلى العصر الحجري الحديث حيث اكتشفت آثار في موقع حضارة المقر تبرهن على عودة وجود هذه الحرف في المملكة لنحو 9000 عام، ولقد تعددت أنواع الحرف النسيجية فمنها نسيج السدو ونسيج البشوت ونسيج السجاد والحصر ونسيج العقال والطواقي وغيرها من المنسوجات المتعددة، ولقد تأثرت هذه الحرف بالبيئة المحيطة سواء في المواد الخام المستخدمة أو الآلات وحتى في الزخارف والنقوش التي نقشت على المنسوجات، وقد تطورت الحرف النسيجية على مر الزمان، حتى عصرنا الحالي، الذي أخذ فيه الفنان يمزج بين الماضي وأصالته والحاضر وتطوره ليظهر ذلك في المنسوجات السعودية المعاصرة، ولقد حازت هذه الحرف على أهمية كبيرة سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو التاريخية والثقافية خاصة وأنها تعتبر مرآة لتطور ذوق وثقافة وعادات وتقاليد المجتمع السعودي على مر العصور، غير أنه مع التطور التكنولوجي الحالي واجهت الحرف النسيجية بعض التحديات إلا أن المؤسسات الحكومية في المملكة تعمل جاهدة على مواجهة هذه التحديات.

الكلمات المفتاحية: النسيج –السدو- الحرف التقليدية – الحرف التراثية – المنسوجات – المملكة العربية السعودية.

textiles fabric crafts in the Kingdom of Saudi Arabia "The Craft of Sadu as an Example"

Abstract:

This research deals with the subject of textiles fabric crafts in the Kingdom of Saudi Arabia, which are considered as the most important heritage crafts in the Kingdom, due to their importance in shedding the light on the cultural and historical identity of the Kingdom of Saudi Arabia. The emergence of textile crafts in the Kingdom dates back to the Neolithic era, where the ruins were discovered at the site of the Al-Maqar civilization, proving that these crafts dated to in the Kingdom for about 9000 years. The types of textile crafts have varied, including sadu textile, Bisht weaving, carpet and mat weaving, Agal and Taqi weaving, and other various textiles. These crafts have been influenced by the surrounding environment, whether in the raw materials used or the machines, and even in the decorations and engravings engraved on the textiles. Textile crafts have developed over time, until our current era, in which the artist began to blend the past and its authenticity with the present and its development to appear in contemporary Saudi textiles. However, with the current technological development, textile crafts have faced some challenges, but institutions The government in the Kingdom is working hard to meet these challenges.

Keywords: Textiles - Traditional Crafts - Heritage Crafts - Textiles - Kingdom of Saudi Arabia.

مقدمة:

تعتبر حرفة حياكة النسيج التقليدي أحد أهم الصناعات التقليدية بالمملكة حيث تحتل موقعًا مهمًا في التراث الحرفي حيث تشمل مجموعة من الصناعة منها حياكة السدو والبسط وحياكة الملابس والبشوت (العباءة الرجالية) ونسج الحصر من أعواد النباتات وغزل شباك الصيد والحصر، كما يلعب تعدد وتنوع المواد الخام والأدوات المستخدمة وأساليب العمل والطرق المختلفة دوراً كبيراً في تنوع حرف النسيج والتي تعتمد على العمل اليدوي، وعادة ما ينظر إلى هذه الحرف على إنها ذات قيمة حضارية مهمة حيث تعمل على نقل العادات التقاليد والسلوكيات المجتمعية عبر الأجيال وتظهر الطبيعة التي عاشها السكان قديماً.

كما برعت النساء الحرفيات في السدو لما تطلبه هذه الحرف من دقة متناهية، وصنع الأشكال الجمالية والزخرفية بها، والتي تعطى نبذة عن ذوق السعوديات في عديد من المناطق الشمالية والجنوبية حيث تنتشر حرف النسيج، وعلى الرغم من انتشار المنسوجات الجاهزة وتطور الآلات الصناعية فيها إلا أن المنسوجات التقليدية يبقى لها رونقها المميز.

وقد تأثر السدو بالبيئة المحيطة به فنجد أن حرفة حياكة وغزل الصوف والشعر والوبر عند أهل البادية منتشر بسبب توفر المواد الخام لهذه الحرفة من البيئة المحيطة وقد عرف هذا النوع باسم حرفة السدو، حيث تستخدم هذه المواد باستخدام النول لإنتاج قطع نسيج مختلفة الشكل والحجم والطول تستخدمها الأسر في البادية لسد احتياجاتها من المصنوعات التقليدية.

وتكمن الأهمية التاريخية لهذه الحرفة في أنها تعتبر محصلة للتفاعل التاريخي للأجيال المتعاقبة وتلعب دوراً كبيرا في المحافظة عليه كجزء من الهوية الوطنية التأصيل لثقافة المجتمع، وبهذا فإنها مرآة تعكس هوية الشعوب وأذواقهم في أنواع النسيج المختلف من ملابس وبشوت وحصر وفرش مختلف تتميز بأشكال فنية وهندسية مستمدة من البيئة المحيطة بها ذات ألوان مختلفة ومبهجة متأثرة بعادات وتقاليد المجتمع.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في ضرورة الحفاظ على الحرف النسيجية التقليدية في المملكة العربية السعودية ، وحرفة السدو خاصةً، كإرث ثقافي يعكس تاريخ وهوية المجتمع، وذلك في ظل التحديات التي تهدد استمرارها مثل الاعتماد المتزايد على المنتجات الصناعية الجاهزة، وضعف الدعم المادي والتسويقي للحرفيين.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- التعرف على تاريخ وأصول حرفة المشغولات النسيجية في المملكة، وتحديداً حرفة السدو والادوات والمواد الخام المستخدمة فيها.
- تسليط الضوء على أهمية حرفة السدو في المملكة العربية السعودية كجزء من الهوية الثقافية الوطنية وإبراز قيمتها الاقتصادية والاجتماعية، والتحديات التي تواجهها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في:

- إظهار أهمية الحرف النسيجية كأحد أنواع الحرف التراثية التي تعتبر ثروة ثقافية وطنية.
- الدعوة للحفاظ على حرفة السدو سواء على مستوى الأفراد أو على المستوى الحكومي والوطني والتشجيع على التمسك بها.
- تشجيع الأسر والأفراد على زيادة الإنتاج مع فتح أسواق جديدة لعرض المنتجات ما يشجع الصناعة ويسهم في زيادة الدخل.

تساؤلات البحث:

تتجلى تساؤلات البحث في التالي:

- ما هي الأهمية التاريخية للحرف النسيجية بصفة عامة حرفة السدو ا بصفة خاصة؟
- ما هي التحديات التي تواجه صناعة السدو المملكة العربية السعودية حاليا؟
- ما هي الجهود التي تقوم بها الجهات المختصة لمواجهة التحديات التي تواجه استمرار حرفة السدو؟

حدود البحث:

يقتصر البحث على الحرف النسيجية وخصوصاً السدو كأحد فروع الحرف التقليدية التراثية التي عرفتها المملكة العربية السعودية على مر العصور ومحاولة التعرف على الجذور التاريخية لهذه الحرف وكيف تطورت على مر الزمان لتصبح أهم الحرف التي تعبر عن تراث السعودية على مر الزمان وكيف يمكن تطويرها لتواجه التحديات التي تواجهها وتحل مشكلاتها.

فروض البحث:

- تفترض الباحثة ضرورة الربط بين هذه الدراسة والدراسات المرتبطة بهذا الموضوع وبين سوق العمل لتخريج طلاب طموحين قادرين على تطوير مجالات الحرف التراثية.
- تفترض الباحثة ضرورة إعطاء الجهات المعنية أهمية أكبر لحرفة السدو للاستفادة منها في مجال السياحة وزيادة الدخل الأجنبي وتوفير فرص عمل للمواطنين.

منهجية البحث:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث استخدمت المنهج الوصفي من خلال وصف حرفة السدو وأنواعها وطرق القيام بها وأهميتها التراثية في تشكيل الثقافة الوطنية، والمنهج التحليلي لتحليل التحديات التي تواجهها هذه الحرفة والجهود التي تقوم بها الجهات المختصة لمواجهة هذه التحديات.

مصطلحات البحث:

الحرف التقليدية: تعتبر الحرف والصناعات التقليدية في المملكة أحد أهم مظاهر التراث الثقافي غير الملموس، وقد تميز هذا النوع بصفاته الثقافية المتوارثة عبر الأجيال التي تعكس عادات وتقاليد وأنماط حياة السكان، فقد وجدت هذه الحرف منذ القدم وتطورت على مر الزمان يتوارثها جيلاً عن جيل وبذلك أصبحت كلمة تقليدية (Traditional) وعرفت بأنها مجموعة المعارف والابتكارات والمهارات والفن التشكيلي الذي توارثته الأجيال من السكان المحليين. (الحسين، 2010م، ص60).

المنسوجات: تعرف المنسوجات بأنها نتاج غزل مجموعتين من الخيوط، مجموعة الخيوط الطولية متقاطعة مع مجموعة الخيوط العرضية، وبذلك تكون (Textiles) هي مجموعة من الخيوط إما من الصوف أو القطن أو الكتان أو الحرير أو غيرها من الألياف الطبيعية أو الصناعية التي تم سدوها مع بعضها لتكوين منسوجات ذات طراز وذوق فريد. (النجار، 2023م، ص393)

المبحث الأول
الجذور التاريخية للحرف النسيجية وتطورها وأنواعها

لقد كانت المساحة الشاسعة للملكة العربية السعودية سبباً في تنوع الحرف والفنون التراثية والتاريخية بها، ومع طليعة الألفية الثالثة بدأت المملكة بزيادة الاهتمام والتطوير لهذه الحرف والفنون لتحقيق هدفها في الاحتفاء بتراث المملكة الوطني كثروة ثقافية وطنية عالمية، حيث تعتمد هذه الحرف على اليد البشرية واستخدام آلات وأدوات بسيطة من البيئة المحيطة، وتعتبر حرف المشغولات النسيجية التقليدية أحد أهم الحرف التراثية التقليدية بها ومنها حرفة حياكة البشوت والعقال وحياكة السجاد والحصر والمدد وحياكة الملابس وغير ذلك من النسيج التقليدي التي كانت بالمملكة منذ زمن بعيد والتي يعمل بها عدد كبير من الحرفيين من الرجال والنساء، والتي كانت تُسوق داخل المملكة وخارجها.

الجذور التاريخية للحرف النسيجية في المملكة العربية السعودية:

يرجع تاريخ وجود الحرف النسيجية في المملكة العربية السعودية إلى أقدم آثار تم العثور عليها في حضارة المقر والتي يرجع تاريخها إلى إنسان العصر الحجري الحديث الذي سكن تلك المنطقة حوالي عام 7000 ق.م أي قبل 9000 عام والتي لم تقتصر على التماثيل الحجرية التي كان من الطبيعي وجودها في هذه الفترة وكانت مصنوعة إما من الفخار أو من الحجارة الهشة، أو أدوات مثل السكاكين والمكاشط والسهام، فقد وجدت أيضًا قطعاً متعددة من أدوات النسيج الذي يرجع لهذه الفترة وهو ما يتماشى مع النسيج الذي عرفته الحضارة المصرية القديمة في هذه الفترة تقريبًا من العصر الحجري الحديث في الفيوم ومرمدة بني سلامة (عبد النعيم، 1995م، ص160-169).

وبدراسة صناعة النسيج التي عثر عليها في حضارة المقر وجد أنها كانت أحد الصناعات الرئيسية في ذلك الوقت حيث عثر على أدوات حجرية كانت تستخدم في صناعة الغزل والنسيج، وكان الإنسان القديم يستخدمها في صناعة سروج الخيل التي كثيراً ما ظهرت في منحوتات هذا العصر. (الصياد، 2020م، ص 8 – 10)

لقد كان لطبيعة البيئة المحيطة بإنسان حضارة المقر بالغ الأثر في اختياره للمواد الخام التي استخدمها في عمليتي الغزل والنسيج، فموقعها على أطراف هضبة نجد مع الطبيعة الزراعية والخصبة التي سادت المنطقة في الفترة التي تلت انتهاء العصر الجليدي في المنطقة، لذا من المتوقع أن يكون قد زرع القطن والكتان خاصة وأنه تم العثور على بعض المنسوجات الكتانية في هذه المنطقة، فضلاً عن انتشار حرفة الرعي في منطقة حضارة المقر وما يجاورها من المناطق المرتفعة ما يساهم في توافر الصوف والشعر والجلود وهم من أهم المواد الخام المستخدمة في الحرف النسيجية في تلك الفترة وما بعدها، خاصة الصوف الذي أصبح يصرف للموظفين كجزء من رواتبهم العينية للدلالة على أهميته في تلك الفترة، (الصياد، 2020م، ص 11 – 15) فقد امتازت المملكة العربية السعودية بتوافر الصوف فيها على مر العصور حتى عصرنا الحالي ذلك بسبب تواجد ثلاثة سلالات رئيسية من الأغنام فيها وهي النعيمي والحري والنجدي وقد كان لأغنام النعيمي نصيب الأسد مما تحتاجه المملكة العربية السعودية من الصوف حيث تمثل وحدها حوالي 38,8 % من إجمالي عدد الأغنام الموجودة في المملكة العربية السعودية خاصة في المنطقة الشمالية منها والتي تمتاز بجودة لحومها وبياض أصوافها. (دعبس، المسعودي، 2023م، ص 35، 36)

ولقد وجدت من بقايا حضارة المقر بعض القطع الحجرية المحلاة بالزخارف النسيجية التي كانت على هيئة حبال أو شرائط منسوجة من الصوف (الصياد، 2020م، ص 14)، ولعل أكبر دليل على تطور صناعة النسيج في المملكة العربية السعودية في العصر الحجري الحديث هو الأدوات والآلات التي تم العثور عليها في موقع حضارة المقر حيث تم العثور على عدد كبير من المكاشط

الحجرية ذات الحافة الحادة في إحدى جانبيها التي كانت تستخدم في استخلاص الشعر والصوف من الحيوانات، وغيرها من المكاشط التي كانت تستخدم في عمليتي الغزل والنسيج، كما عثر على أدوات تشبه المضارب التي كانت تستخدم في استخلاص النسيج من الشوائب التي كانت تستخدم في مصر القديمة، (الغلبان، 2017م، ص 7 -11) فضلاً عن الثقالات التي كانت تقوم بدور النول الذي يشد عليه الخيوط لإتمام عملية الغزل والنسج وغيرها من المواد التي تبرهن على وجود حرفة النسيج وتطورها في هذا الوقت المبكر من التاريخ في المملكة العربية السعودية. (الصياد، 2020م، ص 16 – 21).

النسيج اليدوي في المملكة العربية السعودية:

لقد انتشر هذا النوع من المنسوجات عند البادية الذين يعيشون في البيئة الصحراوية، ويعتبر النسيج اليدوي أحد أهم الحرف التراثية التي تميز الشعوب عن بعضها البعض على مر الزمان، حيث يؤثر ويتأثر كل شعب بالبيئة التي يقطنها ويتضح ذلك من خلال الزخارف والألوان التي تتميز بها منسوجات كل شعب (بدر، 1994م، ص 62) لذا يعتبر النسيج أهم الحرف التي تعكس تقاليد وعادات وموروثات الشعوب المختلفة، ولقد اكتسب مكانة كبيرة خاصة في البيئة البدوية التي مازال موجود بها هذا النوع من الحرف حتى الوقت الحالي يتمتع بقيمة فنية وجمالية ووظيفية سواء على المستوى الفردي أو للمجتمع ككل، لذا كانت المنسوجات مرآة الحضارة والثقافة داخل المجتمع. (القحطاني، 2004م، ص 2، 3) وقد تعددت أنواع الحرف النسيجية في المملكة العربية السعودية فمنها: نسيج السدو اليدوي- نسيج البشوت - نسيج السجاد أو ما يعرف بالبسط أو الساحة وأحيانًا تسمى بالحنابل والحصر من الأعواد النباتية - نسيج العقال والطواقي- وغزل شباك الصيد وغيرها وفيما يلي سوف نحاول الحديث عن بعض أنواع هذه الحرف. (الحسين، 2010م، 63، 64).

أهمية الحرف النسيجية في المملكة العربية السعودية

الأهمية الاقتصادية للحرف النسيجية:

تعتبر الأفراد من الحرفيين والحرفيات هم الترس الأساسي التي تقوم عليه عجلة الإنتاج في مجال الحرف النسيجية اليدوية، لذا تعتبر هذه الحرف مصدر لتوفير عدد كبير من فرص العمل، كما تعتبر الحرف اليدوية بصفة عامة مصدر لزيادة الدخل الأجنبي للبلاد من خلال زيادة الإنتاج المحلي وزيادة الصادرات وتدخل هذه العائدات ضمن عائدات السياحة الوطنية لذا تعمل مثل الحرف على إنعاش اقتصاد الدول المتقدمة والنامية على مستوي العالم، أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية فتقدر قيمة سوق الحرف والصناعات اليدوية ككل سنوياً ب 1,5 مليار ريـال، حيث تبلغ قيمة المنتجات المحلية منها فقط 20%، (زكريا، 2017م، ص 1)، لذلك بدأت الجهات المختصة تلتف إلي ضرورة إعطاء أهمية أكبر للحرف التراثية وتطويرها خاصة وأنها مازالت مطلوبة مع حرص عدد كبير من الناس على مستوى العالم على اقتنائها، لذلك أصبحت مشروعات الحرف التراثية بمثابة مشاريع استثمارية مربحة، فضلاً عن أنها تعمل على تنمية البنية التحتية للمجتمع حيث تعمل على زيادة دخل الأسر المنتجة وخلق مجتمعات منتجة نتيجة انخفاض تكاليف تدريبه وأن التدريب أثناء هو إنتاج في حد ذاته ما يخلق توازن في التنمية بين الريف والحضر. (سلاغور، 2009م، ص 180- 185).

كما تعمل الحرف النسيجية على الحد من ظاهرة الهجرة الداخلية بين المدن والمناطق حيث تعمل على تنمية المجتمعات الموجودة في المناطق البعيدة، مع إمكانية تطوير المنتج بالشكل الذي يناسب طلب المستهلكين، فضلاً عن توفير فرص عمل لا تطلب إمكانيات تعليمية كبيرة لذا يمكن للأشخاص الذين لم يتموا تعليمهم لأسباب مختلفة من العمل بها. (هيئة التراث، 2023م، ص 64).

الأهمية الاجتماعية للحرف النسيجية:

تتجلى الأهمية الاجتماعية للحرف النسيجية في توفيرها فرص عمل للسكان المحليين مما يرتقي بمستوياتهم الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة لهم، كما تزيد من الاستقرار الاجتماعي والترابط العائلي عن طريق تقليل الهجرة الداخلية، كما أن هذه الحرف لا تشترط جنس أو سن للعمل بها فهي تستوعب كبار السن وصغار السن، الشباب والبنات، وذوي الإعاقة والمتعلمين وغير المتعلمين ومتوسطي التعليم دون تفرقة على أساس درجة إتقان الحرفة ما يساعدهم على تحسين مستوى معيشتهم وتزيد استقرارهم النفسي والاجتماعي. (هيئة التراث، 2023م، ص 69).

الأهمية السياحية للحرف النسيجية:

ترتبط الحرف النسيجية ارتباطا وثيقًا بالسياحة خاصة السياحة الثقافية حيث أن السائح إن طالت مدة إقامة السائح أو قصرت لابد وأن يحرص على اقتناء تذكار من البلد التي زارها وفي هذه الحالة تكون منتجات النسيج اليدوي الخيار الأفضل والدليل على ذلك ما يحدث في موسم الحج والعمرة كل عام حيث يحرص الحجاج والمعتمرين على شراء الهدايا التذكارية لإهدائها لأقاربهم عند العودة. (هيئة التراث، 2023م، ص66).

الأهمية التاريخية والثقافية للحرف النسيجية:

تكمن الأهمية التاريخية للحرف التراثية في أنها تعتبر محصلة للتفاعل المتبادل بين الإنسان وبيئته على مر الزمان، لذا تعتبر الحرف النسيجية مرآة لثقافة المجتمع وتأثره بالبيئة المحيطة به، خاصة وأنه كما سبق التوضيح أن الحرف النسيجية قائمة في المملكة العربية السعودية منذ العصر الحجري الحديث لذا أصبح من الطبيعي أن تعبر هذه المنسوجات عن الثقافة والعادات والتقاليد للشعب على مر الزمان والتي يجب الحفاظ عليها وتنميتها. (هيئة التراث، 2023م، ص67).

لقد اهتمت صناعة النسيج بتجسيد الهوية الثقافية للمملكة العربية السعودية على مر العصور في شكل قطع فنية تراثية ومنتجات نافعة مع إيضاح الوحدات الزخرفية وإمكانية الاستفادة منها في زخرفة الأزياء الحديثة في عصرنا الحالي، وبالفعل ابتكر الفنانون والحرفيون مشغولات نسيجية تستوحي زخرفتها وأشكالها وألوانها من زخرفة وأشكال وألوان السدو السعودي التقليدي المميز بغية إنتاج منتج يتميز بالأصالة والرقي ويتماشى مع متطلبات العصر ومواكبة الموضة في العصر الحالي مع الحفاظ على الهوية الثقافية السعودية. (النجار، 2023، ص 394)

المبحث الثاني
حرفة السدو في المملكة العربية السعودية أنموذجا

تعتبر حرفة السدو أحد أهم الحرف اليدوية التقليدية المنتشرة في المملكة العربية السعودية، وتتميز هذه الحرفة بأنها تنفذ كلياً يدوياً دون تدخل أياً من الأدوات الإلكترونية، ومن أهم الخيوط المستخدمة في هذا النوع من النسيج هي الصوف والوبر والقطن، باستخدام آلات يدوية بسيطة تصنع باستخدام منتجي نسيج السدو أنفسهم، ولقد تميزت المرأة العربية عبر السنين بإبداعها في حرفة نسيج السدو، حيث استطاعت أن تنتج من خيوط الصوف أشكالا هندسية رائعة وزخارف جمالية متميزة، متأثرة بما يحيط بها داخل بيئتها الصحراوية القاسية من أشجار وحشائش، لتتميز منتجاتها بألوانها الزاهية الجميلة (المطيري، 2022م، ص 15).

إلا أن هذه الحرفة اليدوية ليست بالسهولة التي يعتقدها البعض، لأنها تحتاج إلي الكثير من الجهد للاهتمام بالتفاصيل المختلفة للنسيج، لأنها هذه الحرفة تعتمد في المقام الأول علي مدي إتقان وحرفية الصانع لصنعته ونسيجه، فضلا عن توافر المواد الخام اللازمة لهذه الحرفة من صوف الحيوانات وأوبارها، التي توافرت في البيئة الصحراوية داخل المملكة العربية السعودية بكثرة، ما ساعد علي نجاح وانتشار حرفة السدو حتى وقتنا الحالي (عطية، 2024م، ص 113)

الجذور التاريخية لحرف السدو في المملكة العربية السعودية:

تعتبر حرفة نسيج السدو من أهم الحرف التقليدية لسكان البادية في المملكة العربية السعودية، التي تناسبت مع البيئة الصحراوية المحيطة بهم والأحوال المعيشية لهم، لذلك كان نسيج السدو جزءا هاما من التراث الثقافي والمادي للمملكة العربية السعودية عبر الأجيال المختلفة (المطيري، 2022م، ص 14)، حيث يختص مصطلح نسيج السدو بالأعمال اليدوية المرتبطة باستخدام النول في عمليات النسيج خاصة نسيج السدو، والتي تعتبر أحد الموروثات الثقافية والتراثية في الصحراء العربية السعودية، وترتبط كلمة السدو بفكرة التمدد والتوسع، حيث يقوم السكان بتمديد الخيوط وتوسيعها أفقيا، ونسجها بأشكال الحياة المختلفة في البيئة الصحراوية. (الجاسر، 2024م، ص 145)

المعنى اللغوي لحرفة نسيج السدو اليدوي في المملكة العربية السعودية:

كلمة سدو في اللغة العربية أصلها أسدي إسداء، وأسدي إليه أي أحسن إليه، وأسدي الثوب أي أقام سُداه وهو ما مد به من خيوط، وأسدي بين القوم أي أصلح بينهم (المطيري، 2022م، ص 13)، فالإسداء هو المد أو التوسع، وعملية نسيج السدو هو نسج خيوط الصوف لصناعة المنسوجات الصوفية، وتقول الغامدي أن نسيج السدو سمي بذلك لأنه يتخذ ألوانه من السداء وليس من ألوان اللحمة، فيكون السداء هو أصل اللون وشكل النسيج النهائي. (الغامدي، 2023م، ص 304).

المعنى الاصطلاحي لحرفة نسيج السدو اليدوي في المملكة العربية السعودية:

يعرف نسيج السدو بأنه نوع من البُسط أو السجاد من أثاث المنازل التي تصنع من خيوط قطنية أو صوفية، ويتميز هذا النسيج بزخارفه ذات الأشكال الهندسية والجمالية المنسوجة يدويا باستخدام النول اليدوي ، دون استخدام أياً من الأدوات الإلكترونية لتنفيذ هذه الزخارف المختلفة، فهو نسيج يدوي بالكامل. (الجاسر، 2024م، ص 145)

أهمية نسيج السدو:

لقد حظيت منتجات نسيج السدو علي أهمية كبيرة، نتيجة أنها كانت تستخدم في مختلف نواحي حياة الإنسان اليومية، فكان منها الملبس والمسكن والأثاث والفرش والبسط والغطاء وغيرها من زينة الحيوانات كالإبل والخيل وغيرها من المنتجات الأخرى (المطيري، 2022م، ص 18)، ويعتبر هذا النوع من النسيج هو أساس نسج الخيام السعودية (بيوت الشعر) التي يتخذها البادية مسكنًا لهم، ولقد برعت النساء البادية في نسيج السدو الذي تظهرن من خلاله التقاليد الفنية والأذواق العربية القديمة

حيث تقمن بزخرفته بزخارف مميزة ونقشه برموز كلاً منها له دلالة خاصة به وهذا ما يتضح من الشكل رقم (1)، لذا امتاز نسيج السدو بأشكال فنية وجمالية متنوعة نتيجة لتنوع الألوان والخيوط وشكل الزخارف المختلفة المتأثرة بالبيئة الصحراوية وتقاليد وعادات البادية. (الغامدي، 2023م، ص 305) لذا تم تسجيلها كواحدة من الحرف المسجلة ضمن التراث غير المادي لمنظمة اليونسكو عام 2020م، فضلاً عن استخدامها في نفس العام لتصميم شعار قمة مجموعة العشرين التي استضافتها المملكة في عام 2020م. (هيئة التراث، 2022م، ص 40).

وتكمن أهمية نسيج السدو في بساطته وتعقيداته في نفس الوقت، ويمكننا أن نطلق علي هذا النوع من النسيج السهل الممتنع، حيث أنه علي الرغم من بساطة مواده الخام وأدواته إلا أنه يتطلب براعة كبيرة في استخدامهم لتحويله من مجرد خيط إلي قطعة من القماش، ثم إلي جدار، ثم إلي بيت، فعلي الرغم من خفة وزنه إلا أنه يمثل مأوى داخل الصحراء، مما يكسبه شأناً عظيماً وغيره من المنتجات التي تنتج باستخدام نسيج السدو، مما يدل علي فطنة الإنسان وذكاءه في تسخير الأدوات المتاحة في بيئته لخدمته وراحته (الحمد، 2021م، ص 42).

مراحل نسيج السدو:

اعتمدت حرفة النسيج المعروفة باسم السدو على المواد الأولية التي توفرت في البيئة الصحراوية، فالصوف والشعر والوبر أخذت من الأغنام الماعز والجمال، وكذلك الأصباغ التي أخذت من الأعشاب الصحراوية التي تعرفوا عليها أهل البادية ووقفوا على استخداماتها المختلفة، وعلى عدة مراحل:

أولا: جز الصوف: ويقوم بها الرجال في فصل الربيع حيث يكون الجو معتدلا، وبموجب هذه العملية يتم أخذ الصوف من الغنم والوبر من الجمال والشعر من الماعز باستخدام مقص أو مجز يدوي وتتطلب هذه المرحلة المزيد من الوقت والتركيز لأنه من الممكن أن يصاحب هذه العملية جروح للأغنام، أما وبر الإبل فيتم تجميعه كل صيف بعد سقوطه عنها (المطيري، 2022م، ص 28).

ثانيا: عملية فرز الصوف وتصنيفه: فيها يتم تصنيف هذه المواد وتجميعها حسب اللون والنوع ودرجة النعومة واللون، بحيث يوضع كل لون من صوف الغنم لوحده، وبالمثل يوضع كل لون من وبر الجمال وشعر الماعز، فعلي سبيل المثال يتميز شعر الماعز غالبا باللون الأسود الناعم الطويل، أما صوف الغنم فمنها الأبيض المجعد ومنها الأسود، وكذلك تتعدد أنواع وبر الإبل (محمد، 2022، ص470).

ثالثا: عملية تنظيف الصوف وتهيئته للغزل: يتم غسل الصوف وتنشيفه جيداً باستخدام آلة (المنفاشة) (انظر الشكل رقم (2) لكى يتخلص من كل الشوائب العالقة به، ثم يلف علي شكل لفائف تختلف باختلاف الوزن والحجم، وتوضع اللفة علي عصا تسمى (التغزالة)، لتهيئته لمرحلة الغزل (المطيري، 2022م، ص 29).

رابعا: عملية غزل الصوف، وتتم على مدار السنة أي لا ترتبط بفصل معين، وكانت النساء هن اللاتي يقمن بها في أغلب الأحيان إن لم يكن دوما، وذلك باستخدام مغزل يدوي، ثم تجمع الخيوط على شكل كرات يطلق عليها اسم (دجّة) (محمد، 2022، ص470).

خامسا: عملية تلوين الصوف (الصباغة) ويطلق عليها اسم (الوشيع) ويتم خلالها تلوين الصوف الأبيض باستخدام أصباغ من الأعشاب الطبيعية للحصول على الألوان المطلوبة والمألوفة في نفس الوقت، عن طريق جمع النباتات وتركها تجف ثم سحقها وغليها في الماء لاستخلاص الألوان، ومن ثم وضع الصوف فيها لامتصاص اللون، ثم وضعه ليجف مع استخدام مثبتات الصبغ كالخل والملح (محمد، 2022، ص470).

سادسا: عملية برم خيوط الصوف (انظر الشكل رقم (5): تكون خيوط الصوف بعد الصبغ في حاجة للبرم لتصبح أكثر قوة وسماكة ومتانة، ويتم برمها باستخدام أداة المبرم أو المغزل (المطيري، 2022م، ص 30).

منتجات نسيج السدو في المملكة العربية السعودية:

لقد تعددت منتجات نسيج السدو في المملكة العربية، ولقد استطاعت أن تشمل كل مناحى الحياة اليومية للسكان ومن هذه المنتجات:

بيت الشعر:

المقصود ببيت الشعر هو الخيمة أو مساكن البدو في الصحراء، والذي كان يصنع من صوف الغنم وشعر الماعز ذات اللون الأسود، لكي يتناسب مع حياة الحِل والترحال التي يعيشها سكان البادية بحثا عن مناطق الكلأ والعشب والماء، كما يقوم الناسج بنسج بيوت الشعر مكونة من قسمين أو ثلاثة أو أكثر، يفصل بينها بقطع من نسيج السدو تسمي قواطع، يختص كل قسم بمهمة منهم للنوم والطبخ والمجلس وغيره (عطية، 2024م، ص 114)

البجاد:

ويكون البجاد عبارة عن لوحة فنية تجتمع فيها كل الألوان المتميزة والزاهية لنسيج السدو، يخللها مجموعة مختلفة من النقوس والرسومات والزخارف المختلفة، ويتكون البجاد من أربع أو خمس قطع طولية، يكون طول القطع الواحدة حوالي عشرة أمتار وعرضها حوالي خمسون سم، ويطلق أهل البادية علي هذه القطع العرضية مسميات متعددة منها الشفا والبقرة و العفراء، وتستخدم هذه البجاد كقواطع بين أقسام بيت الشعر المختلفة، وما زال كبار القبائل ومشايخها يستخدمونه ليضفي علي مجلس ضيافتهم شيء من الفخامة التي تليق بمكانتهم المتميزة (المطيري، 2022م، ص 21)

العُدول:

عبارة عن أكياس مربعة الشكل مكونة من قطعتين طول الواحدة منهم متران وعرضها حوالي 50 سم، تشبكان مع بعضهما من الوسط، وتثبت الأطراف ببعضها بواسطة غرزة تسمى التخشيم، أما فوهة الكيس فتثبت بغرزة تسمى التضريس، حيث تعمل هذه الغرز علي تبيث الخيوط الصوفية فضلا عن حمايتها من التلف، ويستخدم أهل البادية هذه القطعة لحفظ الأطعمة المختلفة كالأرز والحب والتمر وغيرها (المطيري، 2022، ص 22)

البُسط والمفارش:

هي مفارش تصنع من صوف الحيوانات تتميز بسُمك بسيط، وتصنع بمقاسات مختلفة حسب الطلب، ولكنها تتميز بألوانها الزاهية وزخارفها المميزة، وعادة ما تتكون من قطعتين طوليتين عوض الواحدة منها حوالي 50 سم، وطولها يتحدد حسب الرغبة، تشبكان مع بعضهما بغرزة بسيطة لتكون مفرش أو بُسط تستخدم إما لفرش لبيوت الشعر أو كغطاء أو غيرها من الاستخدامات الأخرى (المطيري، 2022م، ص 25)

المساند:

هي المخدات التي تستخدم في مجالس ومضايف بيوت الشعر، وتكون عبارة عن قطة طولية يبلغ طولها عدة أمتار، ثم تجزأ وتثبت أطراف كل جزء بغرز تثبيت بحيث يكون كل جزء عبارة عن مسند أو مخدة واحدة (المطيري، 2022م، ص 26)

الوحدات الزخرفية لفن السدو السعودي

تتضمن زخارف فن السدو السعودي الكثير من الوحدات التي تتسم بسمات فنية وجمالية، فمنها ما يعتمد على عناصر هندسية، وأرى طبيعية، أو عناصر تراثية جامدة، ومن هذه الوحدات على سبيل المثال لا الحصر هناك العراكي، والمسجد، والمشط، وعشرجة، والعلايق، والتدخالة، والثريا، والوسم، ووسم القبيلة، والتراجي، والمذخر، والزواريق، والدلو، والمقص، والشجرة.. الخ. وهذه الوحدات قد تكون مركبة من أشكال الزخارف سالفة الذكر وغيرها من وحدات، وبالمقابل فإن هناك أشكالا مستقلة ذات سيادة على الوحدة الزخرفية دون مشاركة من العناصر الأخرى تتنوع أشكالها، مما يلزم أن يتم اختيار عينات يمكن من خلالها إجراء عمليات التحليل الفني والجمالي وفق مجموعة من الضوابط والمحددات التي تتصل بالنواحي الجمالية والتشكيلية (قربان، ٢٠١٩، ص ١٣٥).

المبحث الثالث

التحديات التي تواجه الحرف النسيجية وجهود المملكة العربية في مواجهتها.

التحديات التي تواجه حرفة النسيج التقليدي في المملكة:

تواجه حرف النسيج التقليدية تحديات كبيرة في هذا العصر ومنها:

- صعوبة تطوير هذه الحرف التراثية ودمجها في التطور العصري في ظل الوتيرة السريعة للتطوير والتحديث التي تقوم به الحكومة في الآونة الأخيرة.
- قلة التمويل التي يحصل عليه أصحاب الحرف التراثية ما يؤدي إلي تدنى أحوالهم المالية الصحية.
- عدم وجود قوانين منظمة لهذه الحرف التراثية وحماية الحقوق الفكرية للمبدعين فيها والقائمين عليها. (الحسين، 2010م، 59، 60).
- تطور الآلات والأجهزة الحديثة لصناعة النسيج على مستوى العالم.
- ارتفاع مستوى المعيشة لدى عدد كبير من سكان المملكة العربية السعودية.
- توافر المنسوجات الجاهزة بأسعار وتكلفة أقل من المنسوجات اليدوية.
- رغبة الشباب والأجيال الجديدة في العمل بمجالات تكنولوجية مختلفة وترك الحرف اليدوية.

جهود الدولة لتنمية قطاع الحرف النسيجية بالمملكة:

منذ بداية القرن الحادي والعشرين بدأت المملكة حركة تطوير شاملة بما في ذلك الحرف التراثية والدليل على ذلك أن قامت الهيئة العامة للسياحة والآثار في عام 2007م بوضع المسودة الأولى للمشروع الوطني لإدارة للتراث الحرفي وتنميته (هيئة السياحة، 2007م, ص 147)، من أجل وضع الحرف التراثية تحت إشراف حكومي مؤسسي يدير شئونه حيث تهدف الهيئة العامة للسياحة من خلال هذا المشروع إلي:

- استغلال الحرف التراثية كحرف المنسوجات في تنشيط السياحة ورواجها.
- العمل على توثيق الحرف التراثية حتى لا تندثر وتضيع والاستفادة منها وتنميتها عن طريق رصد التغيرات التي تطرأ على الحرف التراثية ومعرفة مدى التداخل بين الحرف المختلفة والمواد الخام المستخدمة في أكثر من حرفة والعمل على توفيرها. (الحسين، 2010م، ص63).

- العمل على حل مشكلات التمويل وحماية الملكية الفكرية ووضع القوانين المنظمة للحرف التراثية لحماية حقوق الحرفيين. (هيئة السياحة، 2007م، ص 105- 130).

كما قامت المملكة بإنشاء هيئة التراث الوطني التي تعمل بجد من أجل تنمية قطاع الحرف اليدوية من خلال:

- **الدعم التدريبي والتأهيلي:** من خلال تنظيم الدورات والبرامج التدريبية لدعم العاملين في قطاع الحرف اليدوية وإكسابهم المهارات والخبرات اللازمة لتطويرهم فنياً وإدارياً واقتصادياً لكي ينجحوا في إدارة مؤسساتهم بشكل احترافي. (هيئة التراث، 2022م، ص 71).
- **الدعم التسويقي والإعلامي:** تعمل الدولة على تقديم الدعم التسويقي والإعلامي للحرفيين من خلال الوزارة ومواقعها الإلكترونية أو من خلال شركائها كما تقيم المسابقات وتقدم الهدايا لأصحاب الحرف المتميزين، واستهداف الجهات الخاصة والمتاجر والأسواق والمطارات المختلفة فضلاً عن تزيين المقرات الحكومية بالأعمال والحرف اليدوية. (هيئة التراث، 2022م، ص73).
- **البرنامج الوطني للحرف والصناعات اليدوية "بارع":** الذي تأسس بقرار وزاري عام 1443ه والذي يعمل على إنشاء مراكز لأصحاب الحرف اليدوية وتدريبهم على الإنتاج بشكل أفضل وكيفية تسويق منتجاتهم. (هيئة التراث، 2022م، ص75).
- **مراكز الإبداع الحرفي:** تعمل هيئة التراث على دعم مراكز الإبداع الحرفي على مستوى المملكة بهدف الوصول إلى منتج حرفي أكثر تطوراً على المستويين المحلي والدولي.
- **السجل الوطني للحرفيين والحرفيات:** الذي يحتوي على بينات كاملة لأصحاب الحرف اليدوية وبالتالي استخراج بطاقات تعريفية لهم.

الخاتمة

من خلال البحث في موضوع الحرف النسيجية في المملكة العربية السعودية بصفتها أحد أهم الحرف التراثية التي عرفت في منطقة شبه الجزيرة العربية بأكملها، وجدت أن هذه الحرف قديمة في المملكة قدم الزمان وأنها بدأت بسيطة بأدوات حجرية بسيطة، ثم أخذت في التطور والانتشار حتى وقفتنا الحالي، مما أكسبها أهمية اقتصادية عالية خاصة وأنها توفر فرص عمل لعدد كبير من سكان المملكة ويمكنها التوسع والانتشار كما يمكن إنشاء المشاريع الاستثمارية العملاقة التي تقوم على مثل هذه الحرف التراثية.

لقد واجهت الحرف النسيجية في المملكة العربية الكثير من المشاكل والصعوبات في الفترة الأخيرة خاصة بعد الثورة الصناعية التي شهدتها المملكة العربية السعودية بعد اكتشاف البترول بها، ما أدي إلي اتجاه الشعب إلي تفضيل المنسوجات الجاهزة وترك المنسوجات اليدوية التقليدية، فضلاً عن قلة الأيدي العاملة في هذا المجال نتيجة انخفاض العائدات المالية وضعف السوق المحلي، مما لفت انتباه المملكة لأهمية هذه الحرف وبدأت في إنشاء الهيئات والمشاريع التي من شأنها حل أزمات هذه الحرف وتذليل العقبات أمامها ومن أهم هذه المشاريع المشروع الوطني للتراث الحرفي وهيئة التراث الوطني وغيرها.

أهم النتائج

من خلال العرض السابق نستنتج أن:

- الحرف النسيجية في المملكة العربية السعودية يرجع تاريخها إلى العصر الحجري وهو ما أثبتته الآثار التي عثر عليها في موقع حضارة المقر بالمملكة.
- تطورت الأدوات التي استخدمت في الحرف النسيجية على مر العصور من الحجرية إلى الخشبية إلى المعدنية وهكذا.
- تأثرت صناعة السدو بالبيئة المحيطة بها وقد ظهر ذلك في المواد الخام المستخدمة وفي الأدوات والآلات.
- تعددت أنواع الخيوط التي استخدمها الحرفي في عملية الغزل والنسيج فمنها القطن- الحرير- الصوف - الكتان وغيرها.
- تعددت أنواع الحرف النسيجية فمنها صناعة السدو والبشوت والسجاد والحصير والعقال وغيرها.
- حازت حرفة السدو على أهمية كبيرة كأحد أهم فروع الحرف التقليدية على المستوى الاجتماعي والثقافي والتاريخي والسياحي والاقتصادي.
- حاول الحرفي أو الفنان في العصر الحالي الدمج بين التراث والمعاصرة والموضة والتطور الحضاري لإنتاج منسوجات معاصرة تتميز بالأصالة مع إمكانية مواكبة التطور الحضاري والعصري في المملكة العربية السعودية.
- واجهت حرفة السدو العديد من المشكلات والتحديات التي كادت أن تجعل هذه الحرف تندثر خاصة مع التطور التكنولوجي والثورة الصناعية التي عمت المملكة بعد اكتشاف البترول واتجاه معظم الشعب إلى استهلاك المنسوجات الجاهزة.

الملحقات

الشكل رقم (1): الآلات المستخدمة في نسج خيوط السدو(الميشع، المنشزة، المدراة)

المنفاشة

المغزل

التغزالة من تصوير الباحثة

الشكل رقم (2): مشاركة النساء في الحرف النسيجية

جز الصوف

الشكل رقم (3): إبراز الوحدات الزخرفية بالألوان

بعض من المنتوجات النهائية لسدو

الشكل رقم (4): حرفة نسيج السدو باستخدام النول اليدوي تصوير الباحثة

الشكل رقم (5): برم الخيوط

قائمة المراجع

أولا: رسائل الماجستير والدكتوراه:

- بدر، ليلي محمد محمود. الغامدي، أحمد بن عبد الرحمن. (1994م) المنسوجات الشعبية اليدوية بالمنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية والإفادة منها في التربية الفنية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم القري، مكة المكرمة.

ثانيا: البحوث:

محمد، إيمان محمد. (2022م)، الحياكة البدوية أصول وفنون، المجلة العربية للنشر العلمي، ع44. -

- الحسين، فهد بن علي، (2010م)، توثيق الحرف والصناعات التقليدية وأهميته المملكة العربية السعودية أنموذجا، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ع21.
- الصياد، عماد أحمد إبراهيم. (2020م)، أضواء على أقدم شواهد لصناعة النسيج في شبه الجزيرة العربية. مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية، مجلد 1، العدد 2.
- الغامدي، عبير سعيد. (ديسمبر 2023م)، رؤية معاصرة للوحدات الزخرفية للسدو لإثراء النسيج اليدوي بالمملكة العربية السعودية، مجلد 3، الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد 98.

- قربان، مسعودة سالم. (2019م)، جماليات زخارف السدو السعودي كمصدر لاستلهام مشغولات معدنية معاصرة في التربية الفنية المجلة الأردنية للفنون، مج١٢، ع2.

- النجار، إيمان رجاء صالح. (نوفمبر 2023م)، مقومات الهوية الثقافية السعودية في المنسوجات المعاصرة، مجلة كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، بحوث في التربية الفنية والفنون، مجلد 24، العدد 2.
- دعبس، رانيا مصطفي كامل. المسعودي، مها حسين عيد. (يناير 2023م) إنتاج ملابس رجالية باستخدام نسيج الصوف المستخلص من شعر أغنام المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية في ضوء مفهوم الاستدامة، المجلة الدولية للتصاميم والبحوث التطبيقية، المجلد 2، العدد 4.

- زكريا، فادية محمد هشام. (2017م)، تنمية وتوطين الصناعات النسيجية بالمملكة العربية السعودية، المؤتمر الأول لتنمية الابتكار والإبداع في الصناعات التقليدية والتراثية والسياحية، القاهرة.
- سلاغور، ليلي محمد نور. (2010م)، واقع النسيج الشعبي في المملكة العربية السعودية بعد الثورة الصناعية، مجلة علوم وفنون – دراسات وبحوث، مجلد 22، ع 3.

ثالثا: الكتب العربية والمعربة:

- الغلبان، علي. (2017م). حضارة المقر، جزور الخيل العربية، إصدارات الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، قطاع الآثار والمتاحف، الرياض.
- عبد النعيم، محمد. (1995م). آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية. ترجمة: عبد الرحيم محمد خبير، الرياض.
- القحطاني، دليل مطلق. (2006م). السدو والحياكة التقليدية في المملكة العربية السعودية، ط1، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض.
- هيئة التراث، (2023م)، قطاع الحرف والصناعات اليدوية.
- المطيري، فاطمة بنت عوض، (2022م)، صناعة السدو بين الماضي والحاضر، ط 1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض.
- الحمد، ليلي، (إبريل 2021م)، السدو أسلوب تفكير وهندسة وعمارة، مجلة القافلة، المجلد 70، العدد 2، ص 41 – 45.
- الجاسر، هيفاء عبد الله جاسر، (2024م)، استحداث تصميمات ملابس نسائية معاصرة لتحقيق استدامة السدو السعودي، المجلة السعودية للفن والتصميم، المجلد 4، العدد 3، ص 139 – 183.
- عطية، ضحي يوسف، (ديسمبر 2024م)، اللون في الحرف اليدوية السعودية تقليديا وحديثا الاستخدامات والتطبيقات في السدو، المجلة السعودية للفن والتصميم، المجلد 4، العدد 3، ص 108 – 138.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

- هيئة التراث الوطني، (2022م)، الحرف اليدوية والصناعات التقليدية في المملكة العربية السعودية، سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية.
www.heritage.moc.gov.sa
- الهيئة العامة للسياحة والآثار، (2007م)، الاستراتيجية الوطنية لتنمية الحرف والصناعات اليدوية، المسودة الأولي، الهيئة العليا للسياحة، الرياض.
https://www.sta.gov.sa/ar/home